# المسيو جان سكلاريدس

## مستنبط القطن المعروف باسمه

توفى يوم ١٣ ديسمبر سنة ١٩٣٣ بالمستشفى اليونانى بالاسكندرية المرحوم المسيو جان سكلاريدس على أثر نوبة بالسكتة القلبية وكان قد أصيب قبل ذلك بأيام فى حادث اصطدام موتوسيكل نشأ عنه كسر ساقه فنقل إلى المستشفى لمعالجته ولكن المنية وافته بعد ما قضى فى مصر معظم سنى حياته فى خدمة الزراعة المصرية حتى تمكن بذكائه وتجاربه ودقة ملاحظته من استنباط القطن المعروف باسمه إلى اليوم والذى زاد فى شهرة القطن المصرى وتفوقه على كافة أقطان العالم وعاد على البلاد بالأرباح العظيمة مما أدى إلى زيادة الثروة الأهلية بارتفاع أثمان الأراضى الزراعية .

والمسيو جان سكلاريدس شيخ فى الحلقة التاسعة . ولد فى عام ١٨٤٤ فى قرية زاجورة من أعمال بلاد اليونان وقدم إلى مصر فى عام ١٨٦٤ . وقصد إلى بلدة بركة السبع بمديرية المنوفية ( حيث قضى ما ينوف عن نصف قرن ) وحيث كان يقيم خاله مشتغلا بتجارة القطن . فاشتغل بتجارة القطن واستطاع فى قليل من السنين أن ينشىء وابوراً للحليج فى بركة السبع كان يعرف باسمه وتمكن بنشاطه ومثابرته أن يجمع ثروة طائلة ما كان ينسى نصيب بلاده فيها فى كثير من المناسبات ولا سيما المناسبات الخيرية التى كان بطبيعته ميالا إلى المساهمة فيها . ثم اشترى مزرعة تبلغ ثلثمائة فدان تعرف بعزبة المفتى بزمام بركة السبع

وفى سنة ١٩٠٣ بينما كان يقلب فى كيس قطن من صنف النوبارى من ناتج أرضه لفت نظره ثلاث لوزات كانت تختلف كثيراً عن بقية اللوز من حيث لون التيلة ومتانتها فعمل على اكثارها

ثم شرع بعد ذلك فى احتكار زراعة هذا الصنف فى مساحات واسعة لدى زراع الجهات المجاورة بشرط أن يبيعوا حاصلاتهم له دون غيره حتى يضمن لنفسه احتكار البزرة ومراقبتها وتم له فعلا ما أراد فى سنتى ١٩٠٨ و١٩٠٩ وصار يعرف هذا القطن من ذلك الوقت باسم السكلاريدس الذى لم ينل فى مبدأ الأمر التقدير الذى يستحقه من جماعة الغزالين على جارى عادتهم تجاه الأصناف المستنبطة حديثاً . ولكن سرعان ما نال هذا الصنف حقه من التقدير وتهافتت عليه الطلبات من جماعة الغزالين .

ويظهر أنه كان لهذا الانقلاب فى رأى جماعة الغزالين بالنسبة لقطن السكلاريدس الأثر المنتظر فى الأوساط التجارية المحلية والخارجية وهو السعى بمختلف الوسائل فى إزالة سياج الاحتكار الذى أقامه المرحوم المسيو جان سكلاريدس حول هذا الصنف الجديد حتى يكون الحصول عليه فى متناول الجميع من تجار صادرات وغيرهم . وكانت نتيجة هذه الوسائل أن أصبحت بزرة القطن السكلاريدس تزرع فى أراض أخرى لا سيطرة للمسيو سكلاريدس عليها مما أفقده تدريجياً سيطرته على هذه البذرة وخفض من سعر بيعها

على أن المرحوم المسيو جان سكلاريدس قد نال مع ذلك ثروة طائلة من وراء احتكار بزرة هذا الصنف فى السنوات الأولى بما قدر بنحو ستين الفا من الجنيهات وورث من أخيه المرحوم المسيو اسكندر سكلاريدس نحواً من عشرين الفامن الجنيهات ولكن معظم هذه الثروة على ما يظهر ضاع فى المغامرات التجارية وكان نصيب المسيو جان سكلاريدس كنصيب كثيرين غيره من المخترعين والمكتشفين الذين أغنوا العالم باكتشافاتهم واختراعاتهم فعاشوا آخر حياتهم عيشة الكفاف وماتوا على فراش الحاجة .

وقد استصدرت وزارة الزراعة قراراً من مجلس الوزراء فى ٣٠ ديسمبر سنة ١٩٢٠ بمنحه مكافأة مالية قدرها ٢٠٠٠ جنيه وقراراً آخر بتاريخ ٢١ يناير سنة ١٩٢٦ بمنحه

الفي جنيه أخرى مما يدل على تقدير الحكومة لمجهوداته وعطفها عليه حينما وصل إلى سن الراحة .

وشيعت جنازته بالاسكندرية فى يوم ١٤ ديسمبر سنة ١٩٣٣ فى موكب يليق بقدره وسار فيه كبار المشيعين وعلى رأسهم محافظ الثغر ومدير البلدية ووزير اليونان المفوض والقنصل العام لليونان وكبار رجال الجالية اليونانية وكبار تجار القطن وغيرهم من المحامين والأعيان وأبنه وزير اليونان المفوض بكلمة مؤثرة .

وفى يوم وفاته رثاه عند افتتاح بورصة القطن بالاسكندرية المسيو جول خلاط رئيس البورصة . كما أبنه فى بورصة الأوراق المسيو ادموندو ريزو ليفى .

وقد طلبت وزارة الزراعة بعد وفاته من وزارة المالية الموافقة على منح أرملته وابنته مبلغ الفى جنيه مساعدة لهما على مواصلة الحياة بحالة مناسبة .

* * *

ونرى من حق المرحوم المسيو جان سكلاريدس لما له من الفضل والمكانة فى الأوساط الزراعية المصرية أن نثبت له فى مجلة الفلاحة ترجمة ملخصه من مذكرة كان قدمها فى سنة ١٩٢٥ لمعالى وزير الزراعة اذ ذاك وأهم ما تضمنته هذه المذكرة تاريخ نشأة القطن السكلاريدس وكيف عمل مستنبطه على اكثاره وهى :

« جئت لمصر فى حداثتى وسكنت فى بركة السبع للاشتغال بتجارة القطن ومنذ وجودى فى هذه الجهة شعرت بميل للزراعة وبنوع خاص القطن الذى كان منذ ذلك العهد أهم موارد مصر .

فتتبعت بكل اهتمام انتشار هذا الصنف الذى هو أساس ثروة البلاد وبهذه الكيفية تمكنت فى سنة ١٨٧٣ من إيجاد نوع من القطن أطلقت عليه اسم 3XXX ووجد هذا النوع تشجيعاً من الغزالين الذين صنعوا منه أحسن أنواع الخيوط . وفى

سنة ١٨٧٨ عند ما ظهرت دودة القطن عملت تجارب كثيرة لابادة البويضات التى كان يضعها الفراش وجدت أن السبيل الوحيد لصيانة القطن من هذه الآفة هو إبادة الأوراق المصابة وقد أخطرت فى الحال مديرى المنوفية والغربيـة وأشرت عليهما بعقد جمعيات فى مديريتهما لتفهيم رجال الادارة أن أحسن الطرق لوقاية القطن من هذه الآفة هى إبادة الأوراق المصابة . وهذه الطريقة هى المتبعة لغاية الآن و ينجو باتباعهـا نحو مليون قنطار من القطن سنويا .

وفى الوقت نفسه كنت أسعى دائماً لايجاد نوع تشتهر به مصر وفى سنة ١٩٠٣ قد لفت نظرى ثلاثة لوز من القطن النوبارى كان نوع قطنها يختلف كثيراً عن باقى اللوز . فاستكثرت من بذور هذه اللوزات مدة ثلاث سنوات وفى سنة ١٩٠٦ تمـكنت من زراعة ١٤ قيراطاً من هذا النوع وكان محصول هذه المساحة خارقا للعادة حيث بلغ أربعة قناطير ونصف من القطن وثلاثة أرادب من البزرة . فشجعنى هـذا النجاح على زراعة ١٥ فداناً فى سنة ١٩٠٧ بدون أن يشعر أحد باهتمامى بهذه البزرة الثمينة وجنيت من هذه المساحة على غير المنتظر ١١٤ قنطاراً . وعلاوة على هذا المحصول الذى يفوق كثيراً محصول الأنواع الأخرى فقد كان لهذا القطن ميزات كثيرة على غيرها أهمها نضج القطن مبكراً ٢٠ يوماً قبل الأنواع الأخرى .

ومن البزرة التى نتجت من الـ ١١٤ قنطاراً تمـكنت من زراعة هذا الصنف فى مساحات واسعة واتفقت مع مزارعى الجهات المجاورة لبركة السبع على زراعة هذا الصنف بشرط أن يبيعوا لى المحصول كى أستطيع مراقبـة النتيجة . وبهذه الـكيفية تمـكنت فى سنتى ١٩٠٨ و ١٩٠٩ من احتكار هذا النوع ولـكن لمـا اشتهر القطن عنـد الغزالين أخذت بعض المحال التجارية تبحث فى الخفاء عن هذا القطن وكانت تدفع للزراع مبلغاً يتراوح ما بين جنيهين ونصف أو ثلاثة جنيهات للقنطـار الواحـد فوق أعلى أسعار القطن الأخرى ففقدت بهذه الـكيفية نحو ٦٠٠٠ أردبا من

البزرة و ٨٠٠٠ قنطاراً من القطن واضطررت حينئذ أن أبيع بسعر بخس ما يقرب من ٢٠٠٠٠ أردب من البزرة بينما كنت منتظراً أن أجني من وراء ذلك فائدة كبيرة.

ولا يخفى على معاليكم أن البلاد استفادت ولا تزال تستفيد كثيراً من نوع القطن الذى أوجدته وفى سنة ١٩١١ بينما ابتدأ القطن السكلاريدس أن يعم فى القطر زرع منه نحو ٨٠٠٠٠ فدان عادت على الزراع بما لا يقل عن نصف مليون جنيه من الأرباح . وفى سنة ١٩١٢ — ١٩١٣ يمكن تقدير هذا الربح بنحو مليون جنيه باعتبار المساحة المزروعة ١٥٠٠٠٠ فدان وفى سنة ١٩١٣ — ١٩١٤ بلغت هذه المساحة ٢٠٠٠٠٠ فدان فيكون الربح العائد على الزراع لا يقل عن مليون ونصف جنيه وفى سنة ١٩١٤ — ١٩١٥ بلغ هذا الربح ثلاثة ملايين إلا ربع باعتبار المساحة ٤٠٠٠٠٠ فدانا وفى سنة ١٩١٥ — ١٩١٦ كان الربح لا يقل عن خمسة ملايين جنيها باعتبار المساحة ٤٠٠٠٠٠ فدان وفى سنة ١٩١٦ — ١٩١٧ بلغت المساحة المزروعة من هذا الصنف مليون و ٢٠٠٠٠٠ فدان فيكون الربح العائد على الزراع ما يقرب من تسعة ملايين من الجنيهات ولا تزال هذه الأرباح تتوالى سنة بعد أخرى .

وليس هذا هو الرابح الوحيد الذى عاد على المزارع المصرى بسبب مجهودى الطويل بل ان ارتفاع ثمن هذا النوع من القطن كان سبباً فى مضاعفة أثمان الأراضى الزراعية

فمن السهل تقدير الفوائد الجمة التى عادت على البلاد بعد ادخال نوع القطن السكلاريدس هذا وان الحكومة نفسها استفادت أيضا لأن زيادة متوسط محصول الفدان قد ساعدت على زيادة إيراد مصلحة السكة الحديد ومصلحة الجمارك نظراً لزيادة نسبة رسم الجمارك على الصادرات .

وفى سنة ١٩١٤ لما ابتدأ متوسط محصول الفدان فى الانحطاط كلفت من حضرة صاحب السعادة محمد محب باشا وزير الزراعة وقتئذ أن أقدم له تقريراً عن أسباب هذا الانحطاط فبينت لسعادته ان زراعة الذرة المرلى تضعف الأرض وتسبب انحطاط

القطن فتناقش سعادته فى هذا البيـان مع وكيل الوزارة وقامت وزارة الزراعة بعمل تجارب بمدرسة الزراعة أثبتت ضرورة منع زراعة الذرة المذكورة .

ونظراً لتغيب سعادة محب باشا عنـد نشوب الحرب لم يتم الغرض المقصود من هذه التجارب ولمـا زاد انحطاط القطن السكلاريدس فى الخمس أو الست السنوات الأخيرة طلب منى حضرة صاحب المعـالى يوسف سليمان باشا وزير الزراعة فى سـنة ١٩٢٠ أن أقدم له تقريراً بأسباب هذا الانحطاط و بتاريخ ١٢ اكتوبر سنة ١٩٢٠ قدمت لمعاليه التقرير المرافق منه صورة طيه المبين فيه أسباب هذا الانحطاط والطرق التى يجب اتباعها لصيانة هذا الصنف المشهور لدى الغزالين فى أنحاء العالم قاطبة ولكن نظراً لاستقالة وزارة توفيق باشا نسيم لم يستطع يوسف سليمان باشا درس التقرير المشار و بهذه الـكيفية استمر هذا الانحطاط الذى سبب شـكوى الغزالين .

ان هـذا الانحطاط والخلط الذى ابتدأ منذ ثلاث سنوات تقريباً رفع صوت الغزالين بالشكوى عالياً كما يثبت ذلك حديث لمعاليكم فى جريدة السياسة فى شهر ابريل الماضى وخوفاً من ضياع هذا النوع الثمين طلب الجميع من الحـكومة أن تتخذ الطرق الفعالة على جناح السرعة للمحافظة على هـذا القطن الذى تتوقف عليه ثروة البلاد كما ورد ذلك فى الأمر العالى الصادر من جلالة الملك فؤاد الأول والذى بمقتضاه تفضل بمنحى نيشان الفلاحة من الدرجة الأولى .

هذه هى يا معالى الوزير الخدمات التى قمت بها بقدر استطاعتى لخدمة الزراعة فى مصر وطنى الثانى الذى قطنت فيه مدة ستين سنة » .